

ألف حكاية وحكاية (١١٣)

التقنانيك في نسيج العنكبوت

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشاروني



رسوم

نسيم

الناشر

مكتبة مصر

بمبادرة وزارة الثقافة
مشاريع كامل صدقي - القاهرة

٥٩٠٨٩٢٠ ت

حشرة في نسيج عنكبوت هائل

هذا هو السطح الحقيقي للباخرة العملاقة ، الذي وقف عليه ، منذ ست وثمانين سنة ، ١٥٠٢ شخصاً ، ينتظرون نهايتهم غرقاً . وهذا هو السور الحديدي الحقيقي ، الذي أمسكت به مئات الأيدي ، تحاول أن تحمي أصحابها من السقوط في الماء المثلج ، وهم يرون " التيتانك " تغوص بهم إلى عمق أربعة آلاف متر ، لتختفي في أعماق مياه المحيط المظلمة ، بعد أن اصطدمت بجبل الجليد ، وهي التي قالوا عنها إنها " سفينة الأحلام " التي " لا تغرق " .

لم يكن هذا هو الفيلم الذي تعرضه دور السينما ، لكنني شاهدته في متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك .

ففي عام ١٩٨٥ ، تم اكتشاف المكان الذي استقر فيه حطام

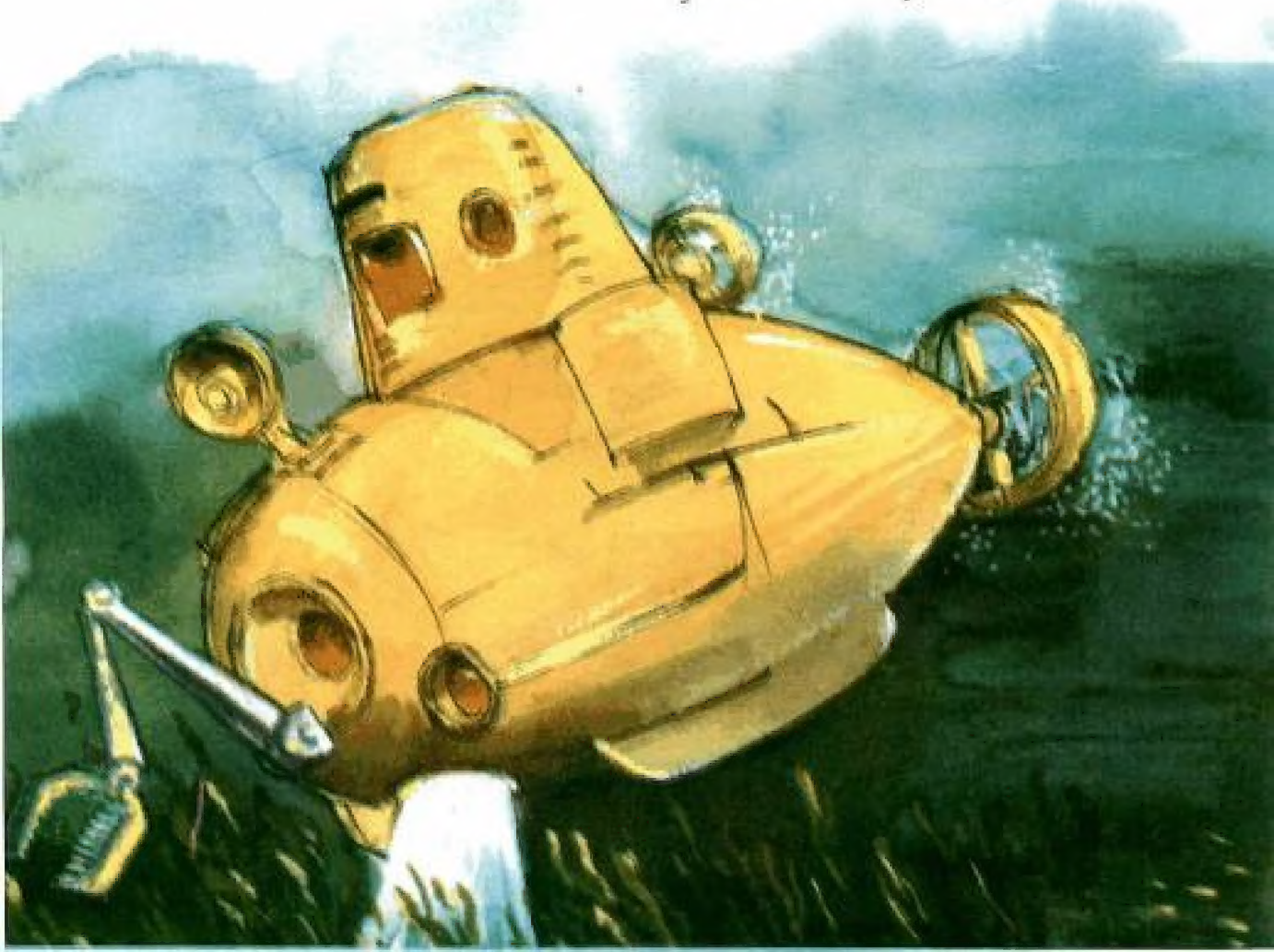
الباخرة .



وفى عام ١٩٩١ ، قامتُ بعثةٌ روسيةٌ كنديةٌ أمريكيةٌ ، بتصميمِ
غوّاصةٍ تتحمّلُ ضغطَ الماءِ الهائلَ عند هذا العمقِ الكبيرِ ، مُزوّدةٍ
بآلاتِ تصويرٍ حديثةٍ ، يُحرّكُها إنسانٌ آليٌّ فى مختلفِ الاتجاهاتِ ، مع
كشافاتِ ضوءٍ قويةٍ .

ونزلَ العلماءُ فى غواصيّتهم ، ليعرضوا أمامَ عيوننا حقيقةَ ما بقىَ
من " سفينةِ الأحلام " ، فوجدنا البحرَ قد هزَمَها ، بأكثرَ مما هزَمَها
جبلُ الجليدِ .

لقد اختفتْ معظمُ معالمِها ، وسطَ تكويناتٍ غريبةٍ من الرمالِ
والكائناتِ البحريةِ ، تشابكتْ حولها ، فأصبحتْ كأنها ذبابةٌ ضخمةٌ ،
سقطتْ فى نسيجِ عنكبوتٍ هائلٍ .



مع صديقها الدب .. فوق سفينة تغرق

كانَ عمرُها سبعَ سنواتٍ ، عندما وضعوها مع والدتها في قاربٍ ، أنزلوه " بالونش " العملاق ، من فوق ظهر الباخرة الأسطورية " تيتانيك " ، قبل لحظاتٍ من غرقها سنة ١٩١٢ ، أثناء رحلتها الأولى من أوروبا إلى أمريكا .

إنها الطفلة " إيفا هارت " ، التي جاءت ، بعد ٨٠ سنة ، لتقدّم إلينا ذكرياتها عن المأساة ، في الفيلم الذي تمّ تصويره لحطام الباخرة في قاع المحيط .

كما قدّمت لنا صُورَها الفوتوغرافية ، التي التقطوها لها وهي طفلة ، تحتضنُ لعبةً على شكل دبٍّ في مثل حجمها ، أثناء صعودها إلى الباخرة .



ثم صوراً لها وهي على ظهر الباخرة ، بجوار "مراجيح
الأطفال " . أو وهي نائمة في غرفة ، كلُّ ما فيها ينطقُ بالفخامة . ثم
وهي تجرى في إحدى القاعات ، وكأنها في ملعبٍ لكرة القدم ..
إنها واحدةٌ من ٦٠٠ شخصٍ فقط ، أمكنَ إنقاذُهم من الكارثة .
ومن " الأرشیف " ، قدّموا لنا الصورَ الفوتوغرافيةَ للمراحلِ
الحقيقيةَ لبناءِ السفينةِ العملاقةِ . فقد قضى سبعةٌ عشرَ ألفَ عاملٍ ، مدةً
ثلاثِ سنواتٍ ، يعملونَ لبناءِ ذلكِ الفندقِ العائمِ " الخمسِ نجوم " ،
والذي انتهى في لحظاتٍ ، عندما احتكَّ جانبُ السفينةِ بجبلٍ جليديٍّ
عائمٍ ، فأصابَ ذلكَ الجانبَ بثقبٍ طويلٍ قاتلٍ ، تدفّقتُ منه المياهُ
إلى داخلها ، فغرقَت في ساعاتٍ قليلةٍ .



ربحت من غرقها أكثر مما لو لم تغرق

" السفينة تيتانيك بعد أن غرقت ، حققت أرباحاً أضعافاً مضاعفة ما
كان يمكن أن يربحها أصحابها منها ، لو أنها ظلت تعمل خمسين سنة
في نقل الركاب بين أوروبا وأمريكا ولم تغرق في رحلتها الأولى . "



هذه هي المفارقة المضحكة المبكية ، التي يتبادلها
الأمريكيون ، تعليقاً على النجاح غير المسبوق ، للفيلم الذي يحكى
قصة غرق تلك السفينة ، الذي تكلف ٢٠٠ مليون دولار (٧٠٠ مليون
جنيه مصرى) ، لإعادة بناء سفينة تُشبه السفينة التي غرقت . وهو
الفيلم الذى يتوقعون أن يحقق أرباحاً تصل إلى ألف مليون دولار .
(حوالى ٣٥٠٠ مليون جنيه مصرى)

ورغم العدد الهائل من الناس الذين غرقوا مع السفينة ، بعد
اصطدامها بجبل الجليد العائم ، فقد تعلّم الإنسان أشياء كثيرة من
تلك الكارثة .

تعلّم أنه يجب توقُّع كل الاحتمالات ، فالثقة الزائدة التي تؤدى
إلى عدم الاحتياط للمفاجآت ، قد تُسبب أكبر الكوارث .
وتعلّم أنه يجب أن توجد فوق السفينة وسائل إنقاذ ، تكفى كل
العدد الذى يوجد فوقها .

وتعلّم إقامة محطات لرصد جبال الجليد العائمة ، تعمل من
خلال عدة أقمار صناعية ، تقوم بإبلاغ السفن بأماكن تلك الجبال
وبخط سيرها ، لتجنب الاصطدام بها .



طعام الحوت في خطوتين

"الحوت الأزرق" هو أضخم حيوان يعيش حالياً على ظهر الأرض ، وقد يبلغ وزنه أكثر من ١٠٠ طن (١٠٠ ألف كيلو جرام) ، وطوله أكثر من ٣٥ متراً .

ولولا أنه يعيش في الماء ، الذي يجعل حركته سهلة ، لما استطاع هذا الحيوان ، الذي يلد ويرضع صغاره ويتنفس الهواء الجوى ، أن يتحرك ، وذلك بسبب ثقل وزنه .

ورغم هذا الحجم والوزن الهائلين ، فإن الحوت يعتمد في غذائه - كله تقريباً - على الشمس والماء فقط .

فعلى سطح ماء البحار ، تطفو بلايين البلايين من كائنات نباتية دقيقة جداً ، اسمها " بلانكتونات " ، تصنع غذاءها من الطاقة



التي تستمدُّها من الشمس ، ومن الأملاح الذائبة في الماء .
وعلى هذه الكائنات ، التي تتحوَّل فيها طاقة الشمس إلى مادةٍ
نباتيةٍ ، تتغذى ملايين من الكائنات البحرية الصغيرة ، اسمُها
" كريل " ، تُشبهُ الجمبرى الصغير .
وعلى هذا " الكريل " وحدهُ ، تتغذى الحيتانُ الزرقاءُ ، حتى
تصلَ إلى أحجامها الهائلة .

وهكذا فإن دورةَ طعام الحوتِ ، تتمُّ في خطوتين فقط ، وهذا
شيءٌ نادرٌ في الطبيعة . فمعظمُ الأسماك والحيوانات البحريةِ
الأخرى ، تكونُ دورةُ الغذاء الخاصةُ بها أطولَ وأكثرَ تعقيداً ، مع أنها
أصغرُ حجماً بكثير من الحوتِ الأزرقِ الهائل .



إنهم يزرعون الأسنان

رجلٌ في الستين من عمره ، تَنبَتْ له أسنانٌ جديدةٌ ، بدلاً من
أسنانه التي تساقطت كلها ..

هذا حلمٌ يداعبُ خيالَ أطباءِ الأسنان ، وهو حلمٌ قد يتحققُ
خلالَ القرنِ القادم ، عن طريقِ الهندسةِ الوراثيةِ ، وبعدَ اكتشافِ كلِّ
أسرارِ خلايا الجسمِ البشريِّ ، وما في تلكِ الخلايا من " الدنا " ، التي
تأمرُ خلايا معينةَ لتُصبحَ أسناناً ، فتتكوّنُ الأسنانُ في الفمِ ، للطفلِ
أو للشيخِ .

سألتُ الدكتورَ " مجدى الشارونى " ، طبيبَ الأسنانِ
المصرىِّ ، الذى يدرسُ فنَّ " زراعةِ الأسنان " فى أمريكا : إذن ما
هى دراستُك التى دفعتَ لالتحاقِ بها ثمانيةَ عشرَ ألفَ دولارَ ،
لمحاضرةٍ كلِّ أسبوعٍ ، خلالَ عامينِ دراسيينَ ، وهو ما معناه أن تكلفه
حضورُ المحاضرةِ الواحدةِ ، تصلُ إلى ألفِ جنيهٍ مصرىٍّ ؟

قالَ لى : ما تُسمّيه " زرع " ، هو فى حقيقته تثبيتُ مساميرٍ من





معدن " التيتانيوم " فى عظام الفك ، وهو معدن خفيف الوزن شديد الصلابة . ثم نُبِتْ أسنانًا صناعيةً على الجزء البارز من هذه المسامير ، وبهذا يشعر الشخصُ كأنه يستخدمُ أسنانه الطبيعية .
وهى عمليةٌ تستغرقُ على الأقلَ ستة أشهرٍ .

لكنَّ الأسنانَ التى يتمُّ تثبيتُها بهذه الطريقة ، يُمكنُ أن تظلَّ سليمةً فى الفمِ عشرين سنةً ، وكأننا زرعنا للشخصِ أسنانًا كاملةً جديدةً .

سد الخير العالي

سأل الشاطر أمين ، جدّه الحكيم عبد المعين :

" ما هي حكاية السدّ العالي الذي أسمعُ عنه كثيرًا ؟ "

قال الجدّ لحفيده :

المصريون القدماء أقاموا الأهرام لحفظ أجساد الموتى ، إيمانًا



منهم بالبعث والحياة الأخرى . و مصرُ الحديثة أقامت السدَّ
العاليَ ، هرمَ مصرَ الرابعَ ، لحفظ حياة الأحياء ، إيمانًا بأننا يجبُ أن
نعملَ لحياتنا كأننا نعيشُ أبدًا ، كما نعملُ لآخرتنا كأننا نموتُ غدًا .

فلولا السدُّ العاليُ ، لواجهتْ مصرُ كارثةً كبرى في بعض
السنوات ، بسببِ الفيضانِ الشديدِ الارتفاعِ .

إن السدَّ العاليَ هو الذي منعَ الفيضانَ ، من إغراقِ معظمِ
أراضي مصرَ الزراعية ، كما منعهُ من تحطيمِ عشراتِ الألوفِ من
البيوتِ في معظمِ قرى مصرَ ، كما كان يحدثُ قبلَ السدِّ العاليِ مع
كلِّ فيضانٍ شديدِ الارتفاعِ .

ولولا السدُّ العاليُ ، لعانتْ مصرُ ، عدةَ مراتٍ ، من الجفافِ الشديدِ
والمجاعةِ المروعةِ ، مثلما عانتْ عشرونَ دولةً من دولِ إفريقيا ، بسببِ
قلةِ إيرادِ النهرِ ، نتيجةَ ندرةِ الأمطارِ عندَ منابعِ النيلِ .

لقد أثبتَ السدُّ العاليُ ، أنه مثلُ صندوقِ الادخارِ
أو " الحصالة " ، تُخْتَزَنُ فيه مصرُ المياهَ الوفيرةَ في سنواتِ الفيضانِ
المرتفعِ ، لتسدَّ به حاجةَ الريِّ والزراعةِ والشربِ في سنواتِ الجفافِ
الشديدِ وفقرِ المياهِ ، حتى لو استمرَّ الجفافُ عشرَ سنواتٍ .

إنه العقلُ المصريُّ ، والسواعدُ المصريةُ ، والإرادةُ
المصريةُ ، التي إذا صمَّمتْ على شيءٍ استطاعتْ أن تُقيمهُ وتنفذهُ
على أفضلِ وجهٍ ، من أجلِ الخيرِ والحياةِ .

لا تخافوا من الآلة الحاسبة

يظنُّ بعضُ الناسِ ، أن استخدام الآلة الحاسبة ، سيقضى على عددٍ كبيرٍ من قدراتِ الإنسان . لكنَّ الصحيحَ أنها ستسمحُ بتوسيعِ قدراتِ الإنسانِ ، وتعلِّمُهُ الاعتمادَ على التفكيرِ المنطقيِّ ، لحلِّ ما يواجهُهُ من مشاكل .

ونقدمُ هنا مثلاً يوضِّحُ هذه الحقيقةُ :

نفترضُ أن عددَ البيوتِ في الشوارعِ المحيطةِ بالمدرسةِ كالآتي : شارعُ الشمسِ به عشرةُ بيوتٍ .. شارعُ القمرِ به ثمانيةُ بيوتٍ .. شارعُ النجومِ به أربعة عشرَ بيتاً .. شارعُ قوسِ قزحٍ به تسعةُ بيوتٍ .. شارعُ الكواكبِ به ستةُ بيوتٍ .

والمطلوبُ الإجابةُ عن الأسئلةِ الآتيةِ :

- ١ - هل صحيحُ أن شارعَ الكواكبِ به أقلُّ عددٍ من البيوتِ ؟
- ٢ - هل صحيحُ أنه إذا كانَ يوجدُ في شارعِ الكواكبِ ضعفُ ما يوجدُ به فعلاً من بيوتٍ ، لكانَ عددُ بيوتِهِ أربعة عشرَ بيتاً ؟
- ٣ - هل مجموعُ عددِ البيوتِ في الشوارعِ الخمسةِ أكثرُ أو أقلُّ من خمسين بيتاً ؟

- ٤ - اكتب من عندك جملتين حولَ عددِ البيوتِ في الشوارعِ



الخامسة ، إحداهما صحيحة والثانية خطأ .
إن هذه الأسئلة كلها ، لا تستطيع الآلة الحاسبة أن تجيب عنها ،
بل لابد أن يعتمد الإنسان على تفكيره الخاص في حلها ، حتى إذا
استخدم الآلة الحاسبة في مرحلة من مراحل تفكيره لحل المسألة
أو المشكلة المعروضة عليه .

الشمعة والظلام

من خلف زجاج النافذة ، ظهر نورُ شمعةٍ صغيرةٍ ، يتراقصُ
ويتمايلُ . يخبو حيناً كأنه سينطفئُ ، ويرتفعُ أحياناً فيبعثُ الأملَ في
قلوبِ السائرينَ في الطريقِ المظلمةِ القريبةِ .
وفجأةً ، هبَّتْ ریحٌ قويةٌ ، فتحتْ زجاجَ النافذةِ بعنفٍ ، وأطفأتِ
الشمعةَ .

وكانَ هناكَ مسافرٌ يمرُّ ، وصلَ أمامَ النافذةِ عندما غمرهَ الظلامُ
فجأةً ، فتوقَّفَ في وسطِ الطريقِ يلعنُ الظلامَ ويسبُّ العتمةَ .
كانَ يصيحُ قائلاً : " ما أبشعَ هذا الظلامُ ... أصبحتُ أسيرُ كائى
في بحرٍ ماؤهَ أسودٌ ... لن يكونَ الجحيمُ أكثرَ سواداً من هذا ... "
وانتظرتِ الشمعةُ لعلَّ الرجلَ يكفُّ عن شتائمِهِ ، التى انهالَ بها
على الظلامِ ، لكنه استمرَّ يشتمُ ويسبُّ بغيرِ توقُّفٍ .
وأخيراً سكنتَ لحظةٌ يلتقطُ فيها أنفاسه ..
هنا أسرعَتِ الشمعةُ تقولُ : " كانَ الأجدرُ بكَ أن تُشعلنى ،
ليرشدَكَ نورى مهما كُنْتُ صغيرةً . فإن إضاءةَ شمعةٍ ، خيرُ ألفِ مرةٍ
من لعنِ الظلمةِ . "

